الأعمَالُ القَلبيَّةُ والفَوائِدُ التَّربَويَّةُ

مِن

الأَربَعِينَ النَّوَوِيَّةِ

ح عقيل سالم عقيل الشمري، ١٤٤٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشمري، عقيل سالم
الأعمال القلبية والفوائد التربوية من الأربعين النووية./
عقيل سالم الشمري ـ ط ١ ـ الرياض ١٤٤٤هـ
٢٥٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٠-٤١٦٠-٠٤-٦٠٣-٩٧٨
١ ـ الحديث الصحيح ٢ ـ الحديث ـ شرح أ. العنوان
ديوي ٢٣٧,٧ ١٤٤٤/٨١٣٨

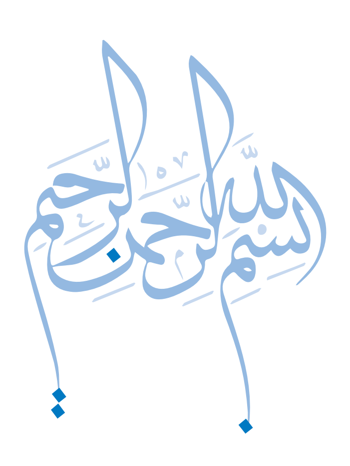
رقم الإيداع: ١٤٤٤/٨١٣٨
ردمك: ٠-٤١٦٠-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ ـ ٢٠٢٣م

الأعمَالُ القَلبيَّةُ والفَوائِدُ التَّربَويَّةُ

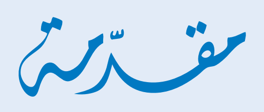


إعـداد
د. عقيل بن سالم الشمري


بسم الله الرحمن الرحيم







الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وبعد:

إن أجلَّ نعمة في الوجود كله أن يتكلم الله لعباده، وأن يخبرهم عن نفسه المقدَّسة، وأسمائه وصفاته وأحكامه، وما يحبه وما يبغضه، وما فيه صلاحهم وهلاكهم، وهذا أثرٌ من آثار اسمه الرحمن الرحيم، واسمه المبين ﷻ، فكان الوحي هو الحياة الكاملة الذي تحيا به القلوب، وحياتها على قدر أخذها له، فأوفر الناس حياةً وأنعمهم من أخذ من الوحي بالنصيب الوافر، ومن انتقص حظه من الوحي كُدِّر عليه بقدر انتقاصه، والناس ما بين مقلٍّ ومستكثر.

وكدُّ الذهن وإعماله بالتأمل للنصوص الكتاب والسنة = الوحي مما يحبه الله، وهذا هو التدبر وتثوير النصوص الذي ذكره الله بقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وعناه النبي ﷺ بقوله: «رحم الله امرأ سمع مقالتي فوعاها»، والوعي هو الفهم والعمل؛ ولهذا أحببت أن أَعمل بالتدبر المأمور به شرعًا من خلال التأمل بأحاديث الأربعين النووية ـ المتن المبارك بشهادة العالمين ـ سائرًا على المنهج التالي:

١ ـ اقتصرت على الأربعين النووية للإمام النووي دون زيادات الحافظ ابن رجب رحمهم الله.



٢ ـ شرحت الأحاديث شرحًا موجزًا؛ لكون الأحاديث مخدومة خدمةً علمية تليق بها في كتب أهل العلم.

٣ ـ استنبطتُ عددًا من الفوائد التربوية من هذه الأحاديث، وحرصتُ على التربوية دون غيرها بشكل أكبر؛ للحاجة الماسة في زماننا، وقد أسميته: «**الأعمال القلبية والفوائد التربوية من الأربعين النووية**».

ومما أُضيف في هذا الكتاب: إبراز العنوانين التاليين:

الأعمال القلبية المتعلقة بالحديث:

لأن ذلك هو مقصود النصوص، فالنصوص إنما سيقت لأجل صلاح القلب، وعلى ذلك مدار جميع النصوص لا يُستثنى من ذلك شيء، والمنهج في معرفة الأعمال القلبية من خلال الحديث:



إما أن يُذكر العمل القلبي صريحًا في الحديث كقوله ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ يَحفَظك، احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجاهَك، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ**» فالعمل القلبي هو: حفظ الله بالغيب، وهذا منصوص الحديث.

وإما أن يكون العمل القلبي مستنبطًا من الحديث؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**» فهو يختص بالكلام عن الورع وهو من أعمال القلب.

وأثناء ذكر العمل القلبي أذكر وجه ارتباطه بالحديث، مع بيان أهم أركان هذا العمل، وشوائبه، وكل ذلك من كلام ابن القيم رحمه الله، معتمدًا في الغالب على كتاب تقريب مدارج السالكين التي أعدها مجموعة من الباحثين؛ ليسهل الرجوع إليها لمن أراد، كما أن العمل القلبي قد يتكرر وروده فأكتفي بما سبق غالبًا إلا حال وجود فائدة لم تُذكر.

الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

وهو أساس العلم ورأســه، وعنه تتفرع أنواع التوحيد كلها، فأعلم الناس بالله هو أعلمهم بأسمائه وصفاته وأكثرهم تَعَبُّدًا لله بها، وكل آية أو حديث نستطيع أن نتعرف على أمرٍ يختص بالله من أسمائه أو صفاته أو أفعاله التي هي آثار الأسماء والصفات، فرجعت كل النصوص إلا معاني الأسماء والصفات لله ســبحانه، فقول النبي ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ يَحفَظكَ**»؛ تختص باســم الله الحافظ والحفيظ، فكان من الواجب بيان هذا العلم المبارك؛ علم الأسماء الحسنى والصفات العليا.

وإنــي أطلب من إخواني مــن طلبة العلم وأهله أن يســتخرجوا الأعمال القلبية، والأســماء الحســنى والصفات من نصوص الآيات والأحاديث؛ لأن بهــا صلاح القلــوب والجــوارح، ولأنها مقصود النصوص الشــرعية، وكم نحن بحاجة إلى مشــروعٍ علمي يستخرج ما كتبه أهــل العلم مــن الأعمال القلبيــة على الأحاديــث النبوية، ويستظهر آثار الأسماء والصفات من خلال تلك الأحاديث؟ ثم يجمع ذلك كله؛ ليستخرج منه قواعد لأعمال القلوب وأركانها وعللها، والله هو الفتاح العليم.

وإني أســأل الله أن يبارك لنا وفينا جميعًــا، وأن يغفر زللنا وجهلنا وظلمنا، وأن يغفر لوالدينا وذرياتنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.





١٩

الحديث التاسع عشر

عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ عَبْدِ اللهِ بن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَــالَ: كُنْتُ خَلْفَ النبي ﷺ يَومًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحفَظك، احْفَظِ اللهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنت فَاسْتَعِن بِاللهِ، وَاعْلَم أَنَّ الأُمّة لو اجْتَمَعَت عَلَى أن يَنفَعُوكَ بِشيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشــيءٍ قَد كَتَبَهُ اللهُ لَك، وإِن اِجْتَمَعوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشيءٍ لَمْ يَضروك إِلا بشــيءٍ قَد كَتَبَــهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفعَت الأَقْــلامُ، وَجَفَّت الصُّحُفُ»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ـ وفي رواية ـ غير الترمذي: «إِحفظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعرِفْــكَ في الشّــدةِ، وَاعلَــم أن مَا أَخطــأَكَ لَمْ يَكُــن لِيُصيبكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَــمْ يَكُن لِيُخطِئكَ، وَاعلَمْ أَنَّ النَّصْــرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَربِ، وَأَنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا».

المعنى الإجمالي للحديث:

علَّـم النبي ﷺ ابن عباس كلمـات مباركـات، فمما علَّمه:

ـ **حفظ الله:** فمن حفظ أوامر الله حفظه الله، ومن حفظ الله وجده معه في كل الأمور، فمن حفظ الله في الرخاء كان الله معه في الشدة.

ـ **سؤال الله:** بأن يوجه سؤاله لله وحده دون غيره، ومن سأل الله بصدق بلغه الله مراده.

ـ **الاستعانة بالله:** بطلب العون من الله وحده، والبراءة من الحول والقوة، والاعتماد على الله وحده كما قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

ـ **إفراد الله بالنفع والضر:** فالله وحده هو النافع الضار، فإذا أراد الله نفع عبد؛ فلن يأتيه الضر ولو اجتمعت عليه الأمة كلها، ومن أراد الله ضره؛ فلن يغني عنه الخلق أجمعين.

ـ **الإيمان بالقدر:** وأن الله كتب المقادير في أم الكتاب لديه سبحانه.

في الحديث العديد من الفوائد التربوية، ومنها:

• **الفائدة الأولى:** فيه حث على التواضع لإردافه ﷺ خلفه، ولم يستأثر بالدابة دون غيره.

• **الفائدة الثانية:** فيه دلالة على اللين والملاطفة لاختيار ابن عباس الشاب الصغير رضي الله عنهما، بل ومحادثته في الطريق وتوصيته.

• **الفائدة الثالثة:** في الحديث الاهتمام بتربية الصغار؛ وهذا واضح من ظاهر الحديث.

• **الفائدة الرابعة:** اختيار الجمل القصيرة في حال تعليم الصغار ليكون أسهل في الحفظ.

• **الفائدة الخامسة:** بذل العلم للكبير والصغير، لكن على قدر ما ينتفع به المتلقي، ولا يأنف الإنسان الذي آتاه الله علمًا من تعليمه للصغار أو من هو دونًا منه.

• **الفائدة السادسة:** ينبغي أن يذكر مقدمة مناسبة قبل التعليم لتشويق المستمع لما يقال، كما فعل ﷺ حيث قال «**أعلمك كلمات ينفعك الله بهن**»، لأن ابن عباس رضي الله عنهما إذا سمع ذلك شحذ همته ليحفظهن ويعمل بهن.

• **الفائدة السابعة:** فيه استغلال الوقت بما يفيد ففي حال ركوب ابن عباس رضي الله عنهما خلف النبي ﷺ حرص ﷺ أن يقطع الوقت بما يفيد من تعليم أو تذكير.

• **الفائدة الثامنة:** فيه الاهتمام بأمر العقيدة، فهذه الكلمات جميعها من أمور العقيدة.

• **الفائدة التاسعة:** الجزاء من جنس العمل، فمن حفظ الله حفظه الله، ومن استعان بالله أعانه سبحانه.

• **الفائدة العاشرة:** من تعلم هذه الكلمات انتفع بإذن الله؛ لقوله ﷺ «**أعلمك كلمات ينفعك الله بهن**» فهذا يعطي أهميةً للحديث.

• **الفائدة الحادية عشرة:** يربي الحديث الاعتماد على الله سبحانه والتعلق به ورجاءه دون غيره؛ وهذا في كل جمل الحديث وعباراته.

• **الفائدة الثانية عشرة:** يقرر الحديث الأعمال القلبية من التوكل والاستعانة والتعلق والخوف والرجاء؛ لأنها حياة الإنسان وأصل العقيدة، ويجب صرفها جميعًا لله وحده.

• **الفائدة الثالثة عشر:** من أراد حفظ الله من المكروهات والشرور فليحفظ أوامر الله، فذلك من وسائل الحفظ.

• **الفائدة الرابعة عشر:** من يحفظ أوامر الله يحصل على ثمرتين عظيمتين:

أ ـ يحفظه الله من كل مكروه لقوله في جواب الشرط: «يحفظك».

ب ـ يعينه الله في أموره المستقبلية ويجلب له الخير لقوله: «**احفظ الله تجده تجاهك**».

• الفائدة الخامسة عشر: فيه تفسير لمعية الله الخاصة لعبادة المؤمنين كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهذه المعية الخاصة في قوله «**تجاهك**» «**أمامك**» «**يحفظك**» «**يعرفك في الشدة**».

• الفائدة السادسة عشر: صلاح الدنيا والآخرة للشخص على قدر حفظه لحدود الله، ولذلك قال في الحديث: «**احفظ الله يحفظك**»، وأطلق ولم يقيد الحفظ في المال أو الولد أو الصحة أو الدين، وهذا الإطلاق حتى يشمل جميع ذلك.

• الفائدة السابعة عشر: إثبات اسم الله «الشكور»؛ حيث أن من معانيه أنه يشكر العبد على أعماله فيعينه عليها أولًا، ثم يتقبلها منه ثانيًا، ثم يجزيه عليها في الدنيا والآخرة؛ فمن جزائه في الدنيا أنه يحفظ العبد وييسر له كل عسير، وهذا من شكره ﷻ لعبده.

• الفائدة الثامنة عشر: التوجه والسؤال والحاجة لا تنزل إلّا بالله وحده، فهو الذي يعطي ويمنع؛ لقوله: «**إذا سألت فاسأل الله**».

• الفائدة التاسعة عشر: قوله: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»؛ مرادف لقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فإن السؤال عبادة لله.

• الفائدة العشرون: جاء النص على السؤال دون غيره «**إذا سألت فاسأل الله**» لأن السؤال يجمع مقامات عالية من العبودية، منها:

ـ الذل والافتقار والتوجه والمســكنة والخروج من الحول والقوة وإنزال الفاقة بالمســؤول وإحســان الظن به، واتهام النفس بالقصور، ومعرفة قدرها وأنها لا تملك ضرًا ولا نفعًا.

• **الفائدة الحادية والعشرون:** فيه أن الأمر كله من الله وإلى الله، فالله هو الأول وهو الآخر، فالله يعين العبد على حفظ أوامره ثم يثيبه عليها، والعبد لا حول له ولا قوة إلا بربه.

• **الفائدة الثانية والعشرون:** يدل الحديث على أن الشخص ضعيف لا يملك لنفسه حولًا ولا قوة، حتى في إعانته نفسه، فهو لا يقدر عليها إلّا بإعانة المولى سبحانه.

• **الفائدة الثالثة والعشرون:** مــن أهداف الحديث تقرير مســألتين عظيمتين:

أ ـ فقر الإنســان لربه، وأنه لا غنى له عنه طرفة عين، ولا أقل من ذلك، وقطع الرجاء بالمخلوقين.

ب ـ غنى الله عن جميع المخلوقين وكماله بذاته ســبحانه، وعلى هذين الأمرين مدار العبودية.

• **الفائدة الرابعة والعشرون:** الكلمــات التي تعلمها ابن عباس ﵄ تربي القوة والشــجاعة في النفس، فمن نزّل مســألته بــالله دون غيره واستعان به وحده، وعلم أن ما أصابه لا يخطئه، وما أخطأه لا يصيبه؛ أصبح قويًّا في حجته ودعوته وسائر حياته.

• **الفائدة الخامسة والعشرون:** المؤمــن الصــادق يعبد الله في كل أحيانه، الرخاء والشــدة ولذلك أوصى النبي ﷺ ابن عباس ﵄ فقال «تعرّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة»، وليس كحال المشركين

الذي قال الله عنهم: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

• **الفائدة السادسة والعشرون:** الاستعانة من أعمال القلوب التي يجب صرفها لله، ومن صرفها لغير الله فقد أشرك وخذل؛ لأن من استعان بغير الله وكله الله إليه فلا يستطيع نفعه، بل يضره لفوات إعانة الله عنه؛ ولذلك قال: «**وإذا استعنت فاستعن بالله**».

• **الفائدة السابعة والعشرون:** يؤصل الحديث الإيمان بالقضاء والقدر؛ لقوله: «**جفت الأقلام ورفعت الصحف**»، فعلى العبد أن يتفقه في القدر تعظيمًا لله وتعبدًا له.

• **الفائدة الثامنة والعشرون:** قوله: «إلّا بشيءٍ كتبه الله لك»، وقوله: «إلّا بشيءٍ كتبه الله عليك» لا يعارض العمل ولا يدل على ترك العمل، بدليل أول الحديث «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»، فسؤال الله والاستعانة به هي من عمل الشخص يجازيه الله بها.

• **الفائدة التاسعة والعشرون:** الحديث يشمل أعمال الجوارح وأعمال القلوب، فالسؤال والدعاء من أعمال الجوارح، والاستعانة من أعمال القلوب، وكلا الأمرين من أركان الإيمان.

• **الفائدة الثلاثون:** يقرر الحديث الرضا بأقدار الله، وهي منزلة أعلى من منزلة الصبر كما يقرره علماء السلوك، ولهذه المنزلة فقهها الخاص بها.

• **الفائدة الحادية والثلاثون:** يقرر الحديث اليقين بالله سبحانه وأفعاله؛ ولهذا تكررت كلمة الله كثيرًا في الحديث.

• **الفائدة الثانية والثلاثون:** الحديث يقرر مذهب أهل السنة والجماعة أن مشـــيئة الله هي النافذة، وترجع مشـــيئة العبد إليها؛ لقوله: «**إلا بشيءٍ كتبه الله لك**»، وقوله: «**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك**».

• **الفائدة الثالثة والثلاثون:** الحديـــث يربي عظمة الله ســبحانه في قلوب المؤمنين، فمن تأمل قدرته الباهرة، ومشيئته النافذة وأن ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن عرف عظمته.

• **الفائدة الرابعة والثلاثون:** النصر مع الصبر، وهذا في جميع الأمور فمن صبر وصابر على مجاهدة نفســه وجهاد العدو وعبادة ربه انتصر بإذن الله.

• **الفائدة الخامسة والثلاثون:** الاســتعجال والجزع لا يأتي بالنصر، وهذا من مفهوم المخالفة للحديث؛ لأنه علق النصر بالصبر.

• **الفائدة السادسة والثلاثون:** إذا اشتد الأمر وزاد الكرب، وانغلقت جميع الأبواب، كان هذا بإذن الله دليل على الفرج؛ لقوله: «**وأن الفرج مع الكرب**»، فهو معه وليس بعده.

• **الفائدة السابعة والثلاثون:** الحديث يربي في النفوس عدم اليأس من روح الله وفرجه وحسن الظن به حتى لو اشتد الأمر؛ لأن الفرج مع الكرب.

• **الفائدة الثامنة والثلاثون:** بيَّن ابن رجب سر انفراج الأر بعد كربه، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر أن الكرب إذا اشــتد وعظــم وحصل للعبــد اليأس من كشــفه من جهة المخلوقين وتعلق قلبه بالله وحده وهذا هو حقيقة التوكل»[١] أ.هـ.

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص ٤٩٣.



• **الفائدة التاسعة والثلاثون:** قوله: «**وأن مع العسر يسرًا**» ولم يقل: وأن اليسر مع العسر كما في جمل الحديث الأخرى؛ لأن لفظ اليسر جاء نكرة وعليه تنوين وهو يفيد عظمة اليسر الآتي مع العسر، فهو يسرٌ عظيم ينسي هم العسر.

• **الفائدة الأربعون:** يدل ظاهر الحديث على أن حال الدنيا يدور بين عسر يتبعه يسر، وكرب يتبعه فرج؛ حيث خلق الله الدنيا على نكد وعدم صفو، فمن عرف حالها لم يطمئن لها.

وفوائد هذا الحديث العظيم كثيرة جدا ولذلك قال بعض العلماء: «تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه»[١].

الأعمال القلبية المتعلقة بالحديث:

١ ـ **حفظ الغيب:** تكرر في الحديث قول: «**احفظ الله**» ويكون ذلك بحفظ أوامره ونواهيه، ومن ذلك حفظ أعمال القلب عن زوالها أو نقصانها، أو دخول الخلل فيها، وحفظ الجوارح لأوامر الله يكون تبعًا لحفظ القلب، فعلى قدر حفظ الله يكون حفظ الجوارح، وحفظ القلب هو المذكور في قوله: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ [ق: ٣٢]، فالحفيظ صيغة مبالغة؛ لأنها تشمل حفظ الجوارح وأعمال القلب، فجعل الجنة جزاءً للحفيظ.

٢ ـ **الاستعانة بالله والتوكل عليه وفروعهما:** لقوله: «**استعن بالله**»؛ وهي تعني طلب العون من الله، ولا يكون ذلك إلا بالبراءة من الحول

(١) المصدر السابق.

والقوة، وهذا مدار العبودية وركنها الأعظم، ولهذا ذكرت في أم الكتاب في قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، والاستعانة عملٌ للقلب؛ لأن القلب يتعلق بالمستعان، ولهذا أُمر المؤمن أن تكون استعانته بالله وحده دون ما سواه.

٣ ـ **التعلق بالله والأنس به وفروعهما:** وهو واجب لقوله في الحديث: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»، **فمقتضاها ولازمها أن يتعلق بالله دون ما سواه، ومن تعلق بشيء وُكِل إليه وخُذِل من جهته،** «**فَلَا عَلَى نَصِيبِهِ مِـنَ اللهِ حَصَلَ، وَلَا إِلَى مَا أَمَّلَهُ مِمَّنْ تَعَلَّقَ بِهِ وَصَلَ**»، والتعلق هو اعتماد القلب على الله وانصرافه والتفاته إليه، فإن فعلت ذلك لم يسأل إلا الله ولم يستعن إلا به، والنفس لا بد لها من تعلق؛ وهذا دليلٌ على فقرها، وأن فقرها ذاتي، ولن تتعلق بالله إلا إذا انقطعت عن التعلق بغيره، والله سبحانه يغار على قلب عبده المتعلق به الموحد له أن يتعلق بغيره؛ ولهذا فالله يتكفل بكل ما يشغل قلب عبده.

٤ ـ **اليقين بالله والثقة وفروعهما:** وهو العمل القلبي المحرك لأعمال الجوارح، وهو للإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وهو روح أعمال القلوب[1]، ويعني استقرار القلب بالله، فلا تعتريه شكوك وأوهام وخواطر، وبذلك يشرق القلب بنور الإيمان فيتعبد حبًّا وتذللًا لله، وحديث الباب يرسخ اليقين رسوخًا عظيمًا فقوله: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيءٍ قد**

(١) مدارج السالكين، ٢/٣٧٤.

كتبه الله عليك»، فبذلــك يســتقر القلب إيمانًا بــالله وأفعاله وأقداره، فيتوكل ويفوض ويعتمد ويتعلق بربه وحده، والمحرك لذلك ثقته بربه وأسمائه وصفاته.

٥ ـ **الرضا بالله والتسليم وفروعهما**: بأن يعلم أن اختيار الله له أفضل من اختياره لنفسه؛ فيستسلم لله وأحكامه وشــرعه، والرضا بالله يشمل ثلاثة أمور:

ـ **الرضا بألوهية الله**: «وَيَتَضَمَّــنُ الرِّضَــا بِمَحَبَّتِهِ وَحْــدَهُ، وَخَوْفَهُ، وَرَجَائَهُ، وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ، وَالتَّبَتُّلَ إِلَيْهِ، وَانْجِذَابَ قُوَى الْإِرَادَةِ وَالْحُبِّ كُلِّهَا إِلَيْهِ. فَعَــلَ الرَّاضِــي بِمَحْبُوبِــهِ كُلَّ الرِّضَا. وَذَلِــكَ يَتَضَمَّــنُ عِبَادَتَهُ وَالْإِخْلَاصَ لَهُ.

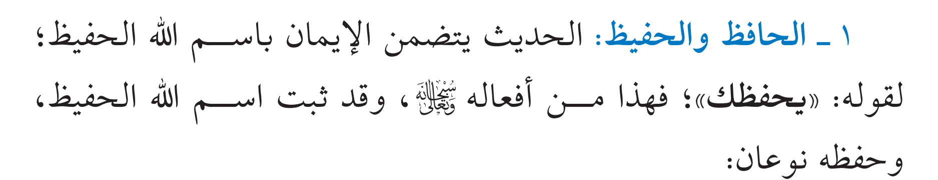
ـ **وَالرِّضَا بِرُبُوبِيَّتِهِ**: يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِتَدْبِيــرِهِ لِعَبْدِهِ، وَيَتَضَمَّنُ إِفْرَادَهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالِاسْــتِعَانَةِ بِهِ، وَالثِّقَةِ بِهِ، وَالِاعْتِمَــادِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ رَاضِيًا بِكُلِّ مَا يَفْعَلُ بِهِ.

ـ **وَأَمَّا الرِّضَا بِنَبِيِّهِ رَسُولًا**: فَيَتَضَمَّــنُ كَمَالَ الِانْقِيَادِ لَهُ، وَالتَّسْــلِيمَ الْمُطْلَقَ إِلَيْهِ، بِحَيْــثُ يَكُونُ أَوْلَى بِــهِ مِنْ نَفْسِــهِ»[(١)]؛ ولهذا من أذكار الصباح والمساء قوله: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا رسولًا؛ لأن ذلك يتضمن الدين كله

٦ ـ **الرجاء والرغبة**: جمــل الحديث كلها تزيــد رجاء القلب، فمن حفظ الله حفظه، ومن حفظ الله وجده، ومن سأل الله أجابه، ومن استعان بالله أعانه، فتتولد الرغبة والإقبال على الله.

---

(١) مدارج السالكين ٢/١٧١.



الأسماء الحسنى والصفات العليا المتعلقة بالحديث:

١ ـ **الحافظ والحفيظ**: الحديث يتضمن الإيمان باسم الله الحفيظ؛ لقوله: «**يحفظك**»؛ فهذا من أفعاله ﷻ، وقد ثبت اسم الله الحفيظ، وحفظه نوعان:

ـ **الحفظ العام**: الذي يحفظ به مخلوقاته، ويقيم لهم شؤونهم وحياتهم وأرزاقهم، وبه يحفظ الكافر والفاجر والبر والمؤمن وسائر المخلوقات، وهذا من آثار ربوبيته العامة.

ـ **الحفظ الخاص**: الذي يحفظ به قلوب أوليائه وإيمانهم، فيربط على قلوبهم، ويثبتهم مع كثرة الفتن من حولهم، ويحفظهم من الشياطين التي تختطف قلوبهم، وهو المقصود من حديث الباب: «**احفظ الله يحفظك**».



٢ ـ **المجيب**: قوله في الحديث: «**إذا سألت فاسأل الله**»؛ لأنه هو المجيب سبحانه القائل ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، ونص في الحديث على السؤال؛ لأنه يجمع أعمال عبودية القلب، ففيه ذل وانكسار وخضوع وحب ورجاء وإخلاص وصدق وغير ذلك.

٣ ـ **الضار النافع والمعطي والمانع**: وقد وردت في حديث الترمذي الذي ذكرت فيه الأسماء الحسنى، وحديث الباب يدل على هذه الأسماء المركبة؛ فقوله عليه السلام: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»، **فالله هو الذي كتب النفع وكتب الضرر؛ وهذا يزيد القلب ثقة وتعلقًا بالله، ويطرد شوائب الشرك وقوادح التوحيد من القلب، فما جاءك من أمر فالله**

هو الذي أعطاك، وما مُنعت من شيء فالله منعك، وبهذا يرتاح قلبك من لوم الناس أو تعليق الرجاء بهم، ولكل حالٍ عبوديته الخاصة به كما قال ابن القيم: «مصدر مَا فِي العَبْد من الْخَيْر وَالشَّر وَالصِّفَات الممدوحة والمذمومة من صفة الْمُعْطِي الْمَانِع فَهُوَ سُبْحَانَهُ يصرّف عباده بَين مُقْتَضى هذَيْن الاسمين فحظ العَبْد الصَّادِق من عبوديته بهما الشُّكْر عِنْد الْعَطاء والافتقار عِنْد الْمَنْع فَهُوَ سُبْحَانَهُ يُعْطِيه ليشكره ويمنعه ليفتقر إِلَيْهِ فَلَا يزَال شكُورًا فَقِيرًا»[1].



(١) الفوائد، ص ٧٩.


٢٠

الحديث العشرون

عَنْ أَبِيْ مَسْعُوْدٍ عُقْبَة بن عَمْرٍو الأَنْصَارِيِّ البَدْرِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدرَكَ النَاسُ مِن كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى إِذا لَم تَستَحْيِ فاصْنَعْ مَا شِئتَ»، رواه البخاري.



المعنى الإجمالي للحديث:

الحديث يبين فضل الحياء وأن ممـــا أدركه الناس من كلام الأنبياء المتقدمين: أن من لم يســـتحِ فليصنع ما يشاء، وقد اختلف العلماء في المراد بذلك:

أ ـ فقيل: أنها أمرٌ بمعنى الخبر بأن الحياء هو الذي يمنع الإنســـان عن مواقعة الشرور.

ب ـ وقيل: هو تهديد بأنَّ من صنع ما يشاء فالله يجزيه بفعله.

ج ـ وقيل: جعل الحياء ضابطًا فيمـــا يفعل من الأمور وما يُترك، فما يفعل بدون حياء فلا بأس به، وما يفعل إلا بحياء واستحياء فهو ممنوع فليترك.

وكل هذه الأقوال مقبولة ولها حظٌ من النظر، ولا تعارض بينها.